٨٤٦٨



جلالة الملك الحسن الثاني يقدم «للمسيرة الخضراء»

«الحسن الثاني يقدم للمسيرة الخضراء» هذا عنوان كتاب جاء مع مطلع سنة 1990 ليثري مجموعة مؤلفات «تشييد دولة حديثة» وهو صادر عن دار النشر «Plon» بباريس. ويكتسي هذا المؤلف طابعا فريدا لكون تقديمه تفضل بإنجازه مؤلف مرموق: صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني مبدع المسيرة الخضراء. وتشكل هذه المساهمة القيمة لصاحب الجلالة شهادة تعطي إيضاحات ثمينة وأساسية تنشر لأول مرة حول منبع المسيرة الخضراء، ورهاناتها وسياقها وتأثيرها على الصعيدين الوطني والدولي.

وفيما يلي النص الكامل للتقديم الذي كتبه العاهل الكريم:

إذا كانت المسيرة الخضراء قد أثارت لدى الرأي العام الدولي تعاليق وتأملات بل وحتى عدم التفهم، فإن ذلك يدل على أهمية وقيمة هذا الحدث المجيد، ومع ذلك فإن الأمر في ما يخص المسيرة لم يكن يتعلق برغبة شخصية أو بمغامرة أو قرار لا مسؤول ولا بمجازفة في الميدان السياسي والديبلوماسي، وإنما بعمل نابع من إيمان ملك وشعب.

فالمسيرة الخضراء تستمد جذورها ومداها من تاريخ عريق، شكل هوية المغرب العريق والمغرب المعاصر، هذا البلد الذي عرف كيف يوفق بين كفاحه من أجل التحرر وبحثه الدائم عن السلام. وباختصار فإن مثل هذه الملحمة لا يمكنها أن تظهر وتنمو وتتفتح إلا في أحضان بلد التحديات.

أما اليوم وقد مرت أربعة عشر سنة على هذا الحدث، فإنه لم يفقد شيئا من توجهه كما لازالت فضائله ينعم بها هذا البلد المبارك بالرغم من أن المسيرة الخضراء قد دخلت تاريخ الأساطير، وأصبحت تراثا عالميا على غرار الأحداث الكبرى التي طبعت تاريخ الإنسانية.

وفي مواجهة إسبانيا المطمئنة إلى رغبتها المتجاوزة في الإبقاء على الإستعمار وتجاهل الحقوق المشروعة لأمة جارة وصديقة لها، استرشدت بتعاليم القرآن وبماضي الشخصي كوطني ناضل من أجل استقلال بلاده كما استرشدت في ذلك بتعلقي بالسلام.

وإنني لأذكر بتأثير بالغ ليلة 19 غشت 1975 في فاس، عندما خطرت ببالي فكرة المسيرة الخضراء، لقد ألهمتني سورة الفاتحة التي كان يهتدي بها الرسول صلى الله عليه وسلم، كيف أتصرف لإفشال مناورات إسبانيا في الصحراء، وأحمد الله على أن هداني سواء السبيل. وقد قادتني هذه النفحة الدينية إلى اختيار اللون الأخضر للمسيرة بإعتباره لون راية الإسلام الغنية بالدلالات.

إن مصدر الإلهام هذا، فرض علي أيضا أن أبقى وفيا لرسالة السلام التي أتى بها الإسلام، كما أن تشبثي بقواعد القانون الدولي سهل مسعاي في البحث عن حل سلمي لمشكل الصحراء الشائك. إن رهاني كان إذن اقناع إسبانيا المتعنتة بالتفاوض دون إراقة ولو قطرة دم واحدة. لقد جعلتني تجربتي كمناضل تظاهر عام 1944 كباقي أبناء جيله ضد الحماية أفكر في تنظيم مظاهرة ضخمة.

وهكذا تم تصوير وتحديد معالم المسيرة في عزلة وفي جو من التأمل حيث كنت أستمد كل



نصائحي من إيماني بـالله ومن تعـاليم ديني الحنيف ومن وعي بخطورة الـوضع بالنسبـة لمستقبل بلدي وشعبي، وبعد ذلك ما كان علي إلا أن أبلورها آخذا بعين الإعتبار كافة الإحتمالات.

وقـد كـان أول تحد يتعين رفعه، هـو التهييء لهذه المسيرة وتقـاسم السر والحفـاظ عليـه في نفس الوقت.

وكلما ازداد المشروع تبلـورا كلما زادتني الأحداث اقتنـاعـا بالقيـام بهذه المسيرة. وقـد كان الـرأي الإستشاري الصـادر يوم 16 أكتوبر 1975 عن محكمـة العدل الـدولية الـذي يعترف بصحة وشرعيـة المطالب المغربية منـاسبة ملائمة لي لأعلن في اليوم نفسه عن قـراري بتنظيم مسيرة خضراء. ومساء يوم 16 أكتوبر 1975 أضحت المسيرة الخضراء قضية شعب بكـامله. فالحماس الذي قابل بـه شعبي هذا الموضوع كان يفرض علي، مع ما قدمـه لي من طمأنينة وثقة، اتخاذ جميع التدابير من أجل ضمان نجاحه نجاحا يكون في مستوى التعبئة المكثفة والأمل المعلق على هذه المبادرة.

لقـد كنت أنتظر من المغـاربة التفهم والإنضبـاط والثقـة في هذا المشروع الـذي كان لا يخلـو من مخاطر. ونظم كل شيء وفق قـواعد مضبوطـة باتفاق وتفان وفـاقت التعبئة كل التوقعـات وكان التنظيم هائلا ولكن محكما في ظل من الإنضباط والحماس الفياض والهادىء المطبوع بالفرحة والسرور.

إن المغـاربة لم يخيبـوا ظني، غير أنه كـان علي كذلك ألا أخيب ظنهم. لقـد كانـوا يؤمنـون بهذه المسيرة وبحقـوقهم في وقت لم تكن هذه المجمـوعة المؤلفـة من 350 ألف من المشاركين مسلحـة سوى بالإيمان والمصحف الكريم والعلم الوطني لقد حرصت على أن أوضح في خطابي يوم 16 أكتوبر 1975 أن المسيرة يجب أن تكـون سلميـة كما عبرت عن اقتنـاعي بأن لا أحـد سيتجرأ على الإعتـداء على نسـاء ورجال عـزل. غير أنه لا شيء كان مضمونـا، وقد يحدث كل شيء رغم الضمانات المقدمـة للسلطات الإسبانية حول النوايا السلمية الخاصة للمشاركين في المسيرة.

وإذا كـان شعبي قـد فهم جيدا تـوجيهـاتي وتعليماتي، فإنـه لم يكن يعلم أن كل فشل كـان يعني بالنسبة لي التنازل عن العرش واختيـار المنفى. غير أن الله استجاب لكل دعواتي ونجا شعبي من مثل هذه الكارثة.

والواقع أن إرادة هذه الجموع البشرية كانت تفرض الإحترام والإعجاب. لقد كانت المسيرة موجهة لكل الذين كانوا يشككـون في عزيمة المغاربة وانضباطهم وحتى عنـدما أعلنت في أكادير وقف المسيرة تمت الإستجابـة لندائي مـرة أخرى ونفس الإنضباط الـذي طبع انطلاق المسيرة، طبع عـودة المشاركين فيها إلى المخيمات بطرفاية.

لقد كان هذا مثالا رائعا على وعي وثقة شعب بأكمله كانت أنظاره تتجه إلى الصحراء.

وكانت هذه لحظة حاسمة أتذكـرها بكثير من التأثر، لحظة تشهد على الإلتحام القائم بيني وبين شعبي، كما تشهد على الحكمة التي تميز المغاربة.

وبذلك تم إعطـاء الدليل على أن الشعب المغربي يعـرف في الضراء واجبه للحفاظ على كـرامته، بمعنى أن المسيرة الخضراء حتى إذا ما بقيت حدثا فريدا من نـوعه ستمكن الشباب من كتابة صفحات بطولية أخرى بكل رصانة كما ستمكنه من مواجهة تحديات أخرى بكل طمأنينة.



لقد أصبحت المسيرة الخضراء مرجعا بالنسبة لشعب بأكمله ومدرسة بالنسبة للأجيال القادمة .

إن المسيرة الخضراء التي أثارت إعجاب ومساندة شعوب أخرى من كل أرجاء العالم لمرافقة المغاربة في هذه المسيرة الملحمية تشكل نموذجا للحل السلمي للخلافات فقد مكنت من تسوية عادلة لقضية تصفية استعمار كانت محفوفة بكثير من الأخطار التي تهدد باندلاع حرب بالمنطقة .

إن المغرب القوي بمسيرته بقي مخلصا لروح الوحدة والتعبئة هذه . كما بدأ مسيرات فردية وجماعية أخرى لتحقيق تنميته وازدهاره وضمان السلم والوفاق بين الشعوب .